

تاج العروس من جواهر القاموس

قالَ لَبِيدٌ هذا في جاهليّتهِ فَوَافَقَ قَوْلُهُ التَّنْزِيلَ العَزِيزَ : " يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " . قالَ : وقد يَقَعُ أَضْلَاهُمْ في غيرِ هذا المَوْضِعِ عَلَى الحَمْلِ عَلَى الضَّلَالِ والدُّخُولِ فِيهِ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " رَبِّ إِنزِّهْنِي أَضْلَانِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ " أَي ضَلُّوا بِسَبَبِهَا لِأَنَّ الأَصْنَافَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُ . وقالَ الرَّغِيبُ : الإِضْلَالُ ضَرْبانُ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وذلكَ عَلَى وَجْهَيْنِ إِمَّا أَنْ يَضِلَّ عَنْكَ الشَّيْءُ كقَوْلِكَ : أَضْلَأْتُ البَعِيرَ أَي ضَلَّ عَنِّْي وَإِمَّا أَنْ يُحْكَمَ بِضَلَالِهِ . والضَّلَالُ في هذينِ سَبَبٌ للإِضْلَالِ والضَّرْبُ الثاني أَنْ يَكُونَ الإِضْلَالُ سَبَبًا للضَّلَالِ وهو أَنْ يُزَيَّنَ لِلإنْسَانِ الباطِلُ لِيَضِلَّ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " لَهُمَّ أَتَّائِفَةٌ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ " أي : يَتَحَرَّرُونَ أَفْعَالًا يَقْصِدُونَ بِهَا أَنْ تَضِلَّ فَلَا يَحْصِلُ مِنْ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ إِلَّا مَا فِيهِ ضَلَالٌ أَنْفُسِهِمْ وقالَ عن الشَّيْطَانِ : " ولأضللنّهم ولأمننّهم ولأمننّهم " وقالَ في الشَّيْطَانِ : " ولقد أضلّ منكم جبلاّ كَثِيرًا " وإِضْلَالٌ □ تَعَالَى لِلإنْسَانِ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وهو أَنْ يَضِلَّ □ الإِنْسَانُ فَيَحْكُمَ □ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَيَعْدِلَ بِهِ عَن طَرِيقِ الجَنَّةِ إِلَى النَّارِ فِي الآخِرَةِ . وذلكَ إِضْلَالٌ هُوَ عَدْلٌ وَحَقٌّ والحُكْمُ عَلَى الضَّالِّ بِضَلَالِهِ والعُدُولُ بِهِ عَن طَرِيقِ الجَنَّةِ إِلَى النَّارِ عَدْلٌ والثاني مِنْ إِضْلَالِ □ : هُوَ أَنْ □ تَعَالَى وَضَعَ جَبِلَّةَ □ الإِنْسَانِ عَلَى هَيْئَةٍ إِذَا رَأَى طَرِيقًا مَحْمُودًا كَانَ أَوْ مَذْمُومًا أَلِفَهُ واسْتَطَابَهُ وَلَزِمَهُ وتَعَسَّسَ صَرَفُهُ وانصِرافُهُ عنهُ وَيَصِيرُ ذَلِكَ كَالطَّبْعِ الَّذِي يَأْتِي عَلَى النَّاقِلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ : العَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ وَهذهُ القُصَّةُ فِي الإِنْسَانِ فِعْلٌ إلهيٌّ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ صَحَّ □ أَنْ يُنسَبَ ضَلَالُ العَبْدِ إِلَى □ مِنْ هَذَا الوَجْهِ فيُقَالُ : أَضْلَاهُ □ لِأَنَّ □ كَلَّ شَيْءٌ يَكُونُ سَبَبًا فِي وَقُوعِ فِعْلٍ صَحَّ نِسْبَةُ ذَلِكَ الفِعْلِ إِلَيْهِ لَا عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ الجَهْلَةُ وَلِمَّا قُلْنَا : جَعَلَ الإِضْلَالُ المَنْسُوبَ إِلَى نَفْسِهِ لِلكَافِرِ وَالفَاسِقِ دُونَ المُوْمِنِ بَلْ نَفَى عَن نَفْسِهِ إِضْلَالُ المُوْمِنِ فَقَالَ : " وما كَانَ □ لِيَضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ "

إِذْ هَدَاهُمْ ° وَقَالَ فِي الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا °
لَهُمْ ° وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ° " وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ° " كَذَلِكَ
يُضِلُّ الْكَافِرِينَ ° وَيُضِلُّ الطَّالِمِينَ ° وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ تَقْلِيدُ
الْأَفْتِدَةِ وَالخَتْمُ عَلَى الْقَلْبِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْمَرَضِ انْتَهَى . وَيُقَالُ : هُوَ
ضَالٌّ تَالٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلَا الضَّالِّينَ " قِيلَ : عَنَى بِهِمُ الضَّالِّينَ .
وَقَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ : .

رَأَاهَا الْغُفُورُ فَاسْتَضَلَّ ضَلَالُهُ ... نِيَّافًا مِنَ الْبَيْضِ الْكَرَامِ
الْعَطَائِلِ قَالَ السُّكَّرِيُّ : طَلِبَ مِنْهُ أَنْ يَضِلَّ فَضَلَّ كَمَا يُقَالُ :
جُنَّ جُنُونُهُ وَمِثْلُهُ فِي الصَّحاحِ . وَيُقَالُ : ضَلَّ ضَلَالُهُ قَالَ أَوْسُ بْنُ
حَجْرٍ : .

إِذَا نَاقَهُ شُدَّةٌ بِرَحْلِ وَنُحْرٍ ... إِلَى حَكَمٍ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالُهَا